قبيلةٌ من صخورٍ وأسلاف

كيف انتصبتَ وأعطيتَ الجلالَ مدَى؟

وقد حملتَ على أكتافِكَ الأَبَدَا !

كأنّما هذهِ الأحجارُ أزمنةٌ

رُصّتْ على بعضِها حتى اسْتَوَتْ جسدا

نَعُدّها حينما نرقَى مدارجَها

ونثني دون أنْ نُحصي لها عددا

وما بَحَثْنَا عن الأسلافِ في حجرٍ

إلا صحا زمنٌ يحكي بما شَهِدَا

غابَ الجدودُ وما غابتْ حقيقتُهُمْ

فلم يزلْ صَوتُهُمْ بالصّخرِ مُتّحِدَا

فيا رهينَ الليالي في سكينتِهِ

يعيشُ كالنّاسِ إنْ سَعْدًا وإنْ نَكَدَا

قبيلةٌ من صخورٍ أنتَ، أمْ بَشَرٍ

تَوَطّنوا هذهِ الآكامَ والنّجُدَا؟!

يا مَنْ يُسَمّرُ في العلياءِ ناظرَهُ

كأنّهُ يتهجّى الأنجمَ الرّصَدا

كأنّهُ من أعاليهِ يُطِلّ على

نبوءةٍ، يجتلي فيها المصيرَ غَدَا

كيف انتصبتَ؟! ومن أهداكَ هيبتَهُ

كي تكتسي جبروتًا مطلقًا صمدا؟!

هل مَسّكَ الجِنّ؟! أمْ ألقتْ ملائكةٌ

عليكَ ما أُوتِيَتْ من ربّها مَدَدَا؟!

وأنتَ.. هل تنتمي للأرضِ مُنغَرِسًا

فيها، تُجَسّدُ من أوتادِها وَتَدا؟!

أمْ تنتمي للأعالي حَدَّ أنْ رفعتْ

بِكَ السماواتُ، من عمدانِها عَمَدا؟!

أمْ أنتَ في حيرةٍ صَمَّاءَ بينَهما؟

ضَيَّعتَ ذاتكَ في رحب الفضاءِ سُدى!

مسافرٌ في تضاريسِ الشرودِ إلى

لا أينَ، تضربُ في الآفاقِ مُجتَهِدا!

مُشَرَّدٌ مثلما الإنسانِ؛ مُلتَبِسٌ

في الانتماء، ولم تَمْسَسْكَ نارُ هُدى

أُصغي إلى صَمتِكَ الدهريِّ يهمسُ لي

مَنْ لم يجدْ ذَاتَهُ فيهِ فلن يَجِدَا!

يا مَنْ يُرَبِّي قُرانا في صلابتِهِ

نَهْجًا عليهِ يُرَبِّي الوالدُ الوَلَدَا

نُصغي لأسرارِكَ العُظمى ونرصدُها

فهل تُحِسّ ُ بمَنْ أصغَى ومَنْ رَصَدَا؟!

ويا صخورًا قَرَأْنَا في ملامحِها

ملامحَ الأهلِ تاريخًا ومُستَنَدَا

هذي الجلاميدُ أسفارٌ مُكَدّ َسَةٌ

تشتاقُ لو َلامَستْ عقلًا وليسَ يَدَا

نجولُ عَبْرَكَ في أغوارِ مكتبةٍ

من التراثِ، ولا ندري لها أَمَدَا

يقالُ: ما برحتْ بئرُ الحياةِ هنا

نَضّ َاحَةً ما رَوَتْ من مائها أحدا!

يقالُ: إنّ َ لها سِحرًا تَمَسّ ُ به

مَنْ ذاقَها فيعيشَ الخُلدَ والأبدا!

يا حارسَ البئرِ.. لا بئرٌ ولا حَرَسٌ

لكنّ َهُ الوَهْمُ في أذهانِنا اتّ َقَدَا

فانضحْ بعُذْرِكَ عُشّ َاقَ السرابِ إذا

تَخَيَّلُوكَ مُقِيمًا تحرسُ الزَّبَدَا

لو أنَّ دَمْعِي شهيدٌ حين أَذرفُهُ

لم أُحْصِ ما ذَرَفَتْ عيني من الشُّهَدَا!

تَشَوَّفَتْ لكَ في نجواي خاطرةٌ

فأَشْعَلَتْني خيالًا زَيتُهُ نَفِدَا

أرى كهوفَكَ في نفسي فأدخلُها

لكي أضيءَ من الأعماقِ ما خَمَدَا

كأنَّما كلُّ كهفٍ فيكِ صومعةٌ

في النفسِ، تمنحُني الإيمانَ والرَّشَدَا

يا توأمَ الشمسِ قِدْمًا.. منذُ أنْ سَكَبَتْ

عليكَ أَوَّلَ ضوءٍ في المدى وُلِدَا!

ما زلتَ والفجرَ مغمورًا ببهجتِهِ

حتى تآخَيتُما نُورًا وسِحرَ ندى

تغفو على سِرِّكَ الصخريِّ مُلتَحِفًا
عُريَ الطبيعةِ.. بالمجهولِ مُحْتَشِدَا

وللفصولِ على سفحيكَ معركةٌ
شعواءُ تُفنِي عديدَ الوقتِ، والعُدَدَا

وأنتَ ساهٍ عن الغاراتِ متَّكِئٌ
عليكَ، لا تشتكي بردًا ولا صَهَدَا

من طُولِ بالِكَ طالتْ منكَ شاهقةٌ
علياءُ تمتدُّ صبرًا.. ترتقي جَلَدَا!

إذا اختلسنا لكَ الرؤيا تَخَطَّفَنَا
برقُ الشموخِ فعُدنا نشتكي الرَّمَدا

تُعشي حقيقتُكَ الطُّولى محاجرَنا
من فرط ما تخرقُ الآفاقَ مُتَّقِدَا

هذي مراياكَ؛ تستجلي ضآلتَنا
فيها، وتجلوكَ من صَوَّانِها أَسَدَا

هُـــنــا جـــــذورُكَ تـــرســو فــــي جـوانــحِــنـا

مـــهـــمـا جـبـيـنـُـكَ فــــي عـلـيـائـهِ ابـــتـعـدا

يـــا عـاكـفًـا فــــي رحـــابِ الـغـيـبِ مـنـتـبذًا

مــــن الـــسـمـاواتِ وجـــهـًـا واحــــدًا أحــــدَا

تـــحـــنـــو الـــغـمـامـةُ إنْ حـــامــتْ بـــقِـــمّـَـتِـهِ

حـــتـّـَـى تـــلـــفّـَ عـــلـيـهِ الـــزنـــدَ والـــعـَـضُـدَا

مـــا انـفـكّـَ يـغـرفُ مـــن جـــوفِ الـسحابِ لــهُ

مــــاءَ الـــوضـــوءِ ويـُــحـيـي الــــوِردَ مـُـنـفَـرِدا

لا زَعْـــزَعَـــتْــهُ ريــــــاحُ الــشـــكّـِ عـــاديــــةً

ولا أصـــابــتـهُ فــــي مــكـنـونِ مــــا اعـتـَقـَدَا

شــيـخٌ عـــلــى الأُفْـــقِ مــا زالــتْ عـمـامتُهُ

شـــمّـَــاءَ، تـــسـبـحُ فــــي مـعـراجِـهـا صُـــعُـدَا

راسٍ؛ إذا اضـــطــربـــتْ فــــيـــهِ هـــواجـــسُـهُ

صلّى بها، وعلى إيمانِهِ اسْتَنَدَا

يا ناسكًا في رحابِ الغيبِ منقطعًا

كأنّهُ يتلقّى من عُلاهُ نِدَا

بمِثْلِ صَمتِكَ هذا ما جَرَى نُسُكٌ

ولا الإلهُ بهذا العُمقِ ما عُبِدَا!

ماذا تلمّستَ في العلياءِ من خبرٍ

مّا هنالكَ من أسرارِنا خَلُدَا؟!

فنحنُ مِثلُكَ نُسّاكٌ نتوقُ إلى

وحيٍ يُحَرّرُ من أعماقِنا العُقَدا

ما زال يُرعِدُ صوتُ الغيبِ في دَمِنَا

ولم يزلْ دَمُنَا بالصوتِ مُرتَعِدَا

يا بيرقًا رَكَزَتْهُ في رُبى (هَجَرٍ)

يدُ الإلهِ، على الآفاقِ مُنعَقِدَا !

مُمَوْسِقًا كلَّ ريحٍ تستظلُّ بهِ

فتنثني عنهُ لحنًا حالمًا غَرِدَا

ما هَفْهَفَتْ نسمةٌ إلا صحا وَتَرٌ

في الصخرِ، وانسلَّ من طبعِ الحصى، وشَدَا

واجتاحَنا في نشيدٍ لا يغيبُ لهُ

صوتٌ من الروحِ إلَّا نابَ عنهُ صدَى

صخرٌ يُغَنِّي؛ ونُصغي لا لنَفْهَمَهُ

لكنْ لكي نتملَّى نشوةَ السُّعَدَا!!

وكلَّما عَصَفَتْ باللحنِ عاصفةٌ

صارَ النشيدُ سراجًا هامدًا بَدَدا

قالتْ لنا (الريحُ)..و(القنديلُ) منطفئٌ

لن تُوقِدوا الحبَّ حتّى تُطفِئوا الحسدا!